الصحبة وأثرها من خلال سورة الكهف

د. أمل بنت سليمان الغنيم

أستاذ مساعد في قسم الدراسات الإسلامية

جامعة الأميرة نورة

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد، وبعد:

لقد خلق الله آدم عليه السلام، وجعله خليفة في الأرض، يعمرها وفق منهج الله، وتكونت الشعوب والقبائل من آدم وحواء، وأرسل الله الأنبياء مبشرين ومنذرين يدعون الناس لعبادة الله وحده، فمن الناس من آمن واهتدى، ومنهم من ضل وغوى، فمن زاغ عن الطريق المستقيم إما مقلداً بذلك آباءه وأجداده، وإما بتأثير أصحابه وأقرانه.

ولا شك أن الصاحب الصالح يحث على طاعة الله ويهدي صاحبه إلى طريق الحق والرشاد، لذلك حث القرآن على الصحبة الصالحة ورغب فيها ،وحذر من الصحبة السيئة وجلساء السوء.

ومن خلال تدبر القرآن الكريم، والنظر في آياته، نجد أن من الأمور المهمة لصناعة الشخصية المسلمة حسن اختيار الصاحب، وقد عرضت سورة الكهف نماذج من هذه الصحبة، وأثرها في هداية الإنسان إلى طريق الحق والنور ،لذلك كان بحثي في الصحبة، وأثرها من خلال سورة الكهف.

التمهيد

معنى الصحبة، وشروط اختيارها.

الصاحب هو المعاشر والملازم، ولا يقال في العرف صاحب إلا لمن كثرت ملازمته، ويطلق على مالك الشيء، أو القائم على الشيء صاحبه، كما قال تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً}([1]) أي الموكلين عليها لا المعذبين بها، والأصل في الصحبة لمن حصل له الرؤية والمجالسة([2])، ومنه الصحابة، والصحابي هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً، ومات على الإسلام([3])، ويطلق كذلك على من اعتنق مذهباً أو رأياً، فيقال: أصحاب أبي حنيفة، ويقال: أصحب الماء إذا علاه الطحلب، وأصحبت الرجل: منعته، وأصحبت الناقة إذا انقادت واسترسلت، وتبت صاحبها، كالصاحب يتبع صاحبه في الخير والشر، ويقال: هو صاحب علم ومال، وصاحباه السيف والرمح، ويطلق على الزوجة صاحبة لأنها تصحب زوجها في الحياة([4]).

---

[1] سورة المدثر ،الآية (٣١)

[2] انظر المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص (٢٧٥) ،ولسان العرب لابن منظور ٢٨٧/٧ ،وبصائر ذوي التمييز للفيروز ابادي ٣٨٧/٣ ،والقاموس المحيط للفيروز ابادي ص ١٣٤ .

[3] تيسير مصطلح الحديث د . محمود الطحان ص ١٩٨

[4] انظر تهذيب اللغة للأزهري ٢٦٣/٤ ،والصحاح للجوهري ١٦٢/١ ،والمصباح المنير للفيومي ٣٣٣/١٠ ،والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ٥٠٦/١ .

والصحبة هي: كثرة الملازمة والمرافقة بين الأصحاب، فإذا صاحب المرء صاحباً انقاد له، وتأثر بفكره وسلوكه، وقد يسير على منهجه ومعتقده([٥]).

شروط اختيار الصاحب :

لقد ورد لفظ الصاحب في القرآن الكريم في سبعة وتسعين موضعاً ،مما يدل على أهمية الصحبة في صناعة الشخصية المسلمة ،وعند تدبر آيات القرآن الكريم نستخلص شروط اختيار الصاحب كما يلي :

١-الدين : يشترط في الصاحب أن يكون مؤمناً بالله صالحاً ،يخاف الله ،ويعين صاحبه على فعل الخير والطاعة ،قال ρ :"لا تصاحب إلا مؤمناً ،ولا يأكل طعامك إلا تقي "([٦])

إن الصاحب التقي يعين صاحبه على مجالسة الصالحين ،ويؤثر في شخصيته ،بل ويصنع شخصيته .

أما الصاحب الذي لا يخاف الله ،ويتبع هواه ،ويعطي نفسه شهواتها بما حرم الله ،فلا خير في صحبته ،ولا تؤمن عاقبته([٧]) ،قال تعالى : (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) ([٨]).

قال الشاعر([٩]) :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح ([١٠])

٢-حسن الخلق :

لا خير في الصاحب إذا لم يتصف بحسن الخلق ،قال ρ :"البر حسن الخلق ،والإثم ما حاك في صدرك ،وكرهت أن يطلع عليه الناس " ([١١])

والصاحب إذا كملت فيه المروءة ،وخالط الناس فلم يظلمهم ،وإذا حدثهم لم يكذبهم ،وإذا وعدهم لم يخلفهم ،استحق الصحبة والمودة .

أما صحبة الشرير فتكسب العداء ،وتفسد الأخلاق ،وتورث الملامة([١٢]).

٣-العقل :

---

[٥] انظر جمهرة اللغة لابن دريد ٢٢٤/١ ،والمفردات للأصفهاني ص ٢٧٥.

[٦] رواه الترمذي في كتاب الزهد ،باب ما جاء في صحبة المؤمن ٥١٩/٤(٢٣٩٥) ،وهذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه ،ورواه أبو داود في كتاب الأدب ،باب من يؤمر أن يجالس ١٦٨/٥ (٤٨٢٩) ،وقال البغوي : هذا حديث حسن .شرح السنة للبغوي ٤٦٨/٦ ،وحسنه الألباني في صحيح الترمذي ٢٨٥/٢ .

[٧] انظر أدب الدنيا والدين للماوردي ص ١٦٨ ،وروضة العقلاء لابن حبان ص ١٦٢ .

[٨] سورة الكهف ،الآية (٢٨)

[٩] لبيد بن ربيعة

[١٠] ديوان لبيد بن ربيعة ص ٢٢٤ ،والشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٨٠/١

[١١] رواه مسلم في كتاب البر والصلة ،باب تفسير البر والإثم ١٣٩/٥ (٢٥٥٣) .

[١٢] انظر عيون الأخبار لابن قتيبة ٣/٣ ،وروضة العقلاء لابن حبان ص ١٦٥ ،وبداية الهداية للغزالي ص ٢٠٣ .

لا بد من اختيار الصاحب العاقل ،فلا يكون جاهلاً ،ولا أحمقاً ،لأن المرء يقاس بقرينه ،وفي صحبة الأحمق مضرة لصاحبه ،لأنه ربما ضر وهو يقدر أن ينفع ،وقد يريد نفعك ،وإعانتك فيضرك ([١٣]).

٤-ألا يكون فاسقاً :

والفسق هو الترك لأمر الله ،والعصيان والخروج عن طريق الحق ،أو الفجور ،وهو اسم جامع للشر والميل إلى الفساد ،وسمي فاسقاً لانسلاخه عن الخير ،والفاسق المصر على فسقه لا فائدة في صحبته ([١٤]).

قال علي([١٥]) τ :"لا تؤاخ الفاجر ،فإنه يزين لك فعله ،ويحب لو أنك مثله ،ويزين لك أسوأ خصاله ،ومدخله عليك ومخرجه من عندك شين وعار "([١٦]) .

٥- ألا يكون مبتدعاً :

والبدعة الحدث في الدين بعد الإكمال ،أو ما استحدث بعد النبي ρ من الأهواء والأعمال ،وهي ما أحدث على خلاف الحق المتلقى عن الرسول ρ ،وجعل ديناً قويماً ،قال ρ :"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " ([١٧]) ،والمبتدع يستحق الهجر والمقاطعة ،لأن في صحبته خطر انتقال البدعة إلى الصاحب ،ومن أعان المبتدع ووقره فقد أعان على هدم الإسلام ([١٨]).

٦-ألا يكون حريصاً على الدنيا :

إن الصاحب يحتاج لصاحبه ،لا سيما في النوائب ،فإذا كان الصاحب كريماً زاهداً أعان صاحبه وقضى حوائجه ،وفرج كربته ،أما الحريص على الدنيا يبخل بماله على صاحبه ،ولا يفرج كربة أخيه المسلم ،فينفر الناس منه ،ولا يستحق صحبتهم([١٩]).

فإذا اختار الصاحب صاحبه على وفق هذه الشروط فإنه سيحصل له استقامة السلوك ،وسيمثل الشخصية المسلمة المهتدية لطريق الرشاد .

المبحث الأول : أنواع الصحبة في القرآن

عند تدبر آيات سورة الكهف نجد أن الله عرض علينا نماذج من الصحبة الصالحة حتى نسير على إثرها ،ونقتدي بسلوكها لصناعة الشخصية المسلمة ،ونماذج من الصحبة السيئة حتى نحذر منها ،ونجتنب مصاحبتها ،لكي لا تضر وتؤثر في الشخصية المسلمة .

المطلب الأول :الصحبة الحسنة :

---

[١٣] ا انظر أدب الدنيا والدين للماوردي ص ١٦٨ ،ومختصر منهاج القاصدين للمقدسي ص ١٠٧ ،ومفتاح السعادة لاش كبري زاده ٢٥٣/٣ .

[١٤] انظر المفردات للأصفهاني ص ٣٨٠ ،والقاموس المحيط للفيروز أبادي ص ١١٨٥،وتهذيب إحياء علوم الدين عبد السلام هارون ٢١٥/١

[١٥]. علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ،شهد بدراً ،قتله ابن ملجم في الكوفة سنة ٤٠هـ .انظر معرفة الصحابة لأبي نعيم ١٩٦٨/٤ ،والاستيعاب لابن عبد البر ١٠٨٩/٣، وأسد الغابة لابن الأثير ٥٨٨/٣.

[١٦] عيون الأخبار لابن قتيبة ٣/٣

[١٧] رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ،باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ ٢٢٩٢/٤(٧٣٥٠) .

[١٨] انظر تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٢١ ،ومختصر منهاج القاصدين للمقدسي ص ١٠٨ ،وتهذيب إحياء علوم الدين عبد السلام هارون ٢١٦/١ .

[١٩] انظر عيون الأخبار لابن قتيبة ٧٣/٣ ،وروضة العقلاء لابن حبان ص ٢٢٢ ،ومفتاح السعادة لطاش كبري زاده ٢٥٤/٣ .

١-صحبة الفتية في الكهف .

إن الجليس الصالح يهدي صاحبه إلى كل خير ورشاد ،ويبعده عن كل شر وفساد ،فإذا عظمت الفتنة وزاغ الناس عن الهدى ،فإن الشخصية المسلمة المؤثرة تقود صاحبها إلى الهداية ،وتبعده عن الفتنة والضلالة .

وإذا اشتدت الفتن ،وعمت وخشي على دينه فإنه يشرع للمؤمن اعتزال الفتنة كما حدث للفتية أصحاب الكهف ،قال تعالى : (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (١٦) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨) وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠) وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا)([٢٠])

يخبر تعالى عن قصة الفتية الذين أووا إلى الكهف هرباً بدينهم إلى الله ،ليختفوا عن قومهم الذين كانوا يعبدون الأصنام ،وكان ملكهم يأمر الناس ويدعوهم إلى عبادة الأصنام ،ولما دعوه إلى الإيمان بالله أبى عليهم ،وتوعدهم وأمرهم بنزع لباسهم لعلهم يراجعون دينهم ،فما كان من الفتية إلا أن فروا بدينهم من الفتنة([٢١]) .

وسأل الفتية ربهم أن يهب لهم الرحمة ،ويجعل عاقبتهم رشداً ،وفي غار الجبل أخبر تعالى أن الشمس إذا طلعت تميل عن كهفهم إلى اليمين ،وإذا غربت تدخل غارهم من شماله فلا تمسهم حتى لا تحرق أبدانهم ([٢٢]).

---

[٢٠] سورة الكهف ،الآيات(٩-٢٥)

[٢١] انظر تفسير الطبري ٢٠٠/٩،وتفسير البغوي ١٤٥/٣ ،وتفسير النسفي ١٥/٣ ،وتفسير ابن كثير ١٣٥/٥

[٢٢] انظر تفسير الطبري ٢١٣/٩ ،وتفسير البيضاوي ٦/٢ ،وتفسير أبي حيان ١٠٨/٦

وضرب الله على آذانهم النوم في الكهف ،فيظن الرائي لهم أنهم أيقاظ لانفتاح أعينهم حتى لا يسرع إليها البلى ،وهم نيام ،ويتقلبون في رقودهم حتى لا تأكل الأرض أبدانهم ،وكلبهم باسط ذراعيه بفناء الكهف يحرسهم([٢٣]) .

وألقى سبحانه عليهم المهابة فلا يراهم أحد إلا خاف منهم ،وكما أرقدهم الله وأنامهم هذه النومة الثقيلة الشبيهة بالموت بعثهم من منامهم صحيحة أبدانهم بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين ،ولهذا تساءلوا كم لبثتم ؟ قالوا : يوماً أو بعض يوم ،لأن دخولهم الكهف كان في أول النهار واستيقاظهم كان في آخره ،ثم ردوا العلم إلى الله لترددهم في كثرة نومهم([٢٤]) .

ولما احتاجوا إلى الطعام والشراب أرسلوا أحدهم بما بقي معهم من الدراهم ليجلب إليهم ما يأكلونه ،وأوصوه بالتخفي عن أعين الناس ،فلما خرج أحدهم إلى المدينة تنكر حتى لا يعرفه أحد ،وكان الناس قد تبدلوا ،وتغيرت البلاد .

وقد أطلع الله أهل ذلك الزمان على أمر الفتية في الكهف لشكهم في البعث ،وحتى يتيقنوا من أمر الساعة ،وأن الله قادر على بعثهم بعد موتهم ([٢٥]).

وقد تجلت من هذه الصحبة عدة آداب أهمها :

١-الثبات على الإيمان بالله ،والتمسك بالحق ،والفرار بالدين خوفاً من الفتنة .

٢-التعاون على البر والتقوى ،وذلك باجتماع الفتية في الكهف .

٣-مصاحبة الصالحين فيها خير عظيم ،وذكر لشأنهم في القرآن حتى كلبهم صار له خبر وشأن ،لأنه صحب الأخيار فشملته بركتهم .

٤-التوكل على الله مع بذل الأسباب ،وذلك في خروج أحد الفتية متخفياً .

٥- الصبر والتثبيت من الله والربط على قلوبهم في هجران دارهم ومفارقة أهلهم .

ثانياً :صحبة موسى υ للخضر υ .

لما لمجالسة الصالحين من أثر كبير ،وخير عظيم ،فقد حرص نبي الله موسى υ على مصاحبة الخضر υ لما علم أن الله قد آتاه علماً واستأثره بالغيب .

قال تعالى :(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) لَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ

---

[٢٣] انظر معاني القرآن للفراء ١٣٧/٢ ،وتفسير الواحدي ٦٥٦/٢ ،وتفسير النسفي ١٦/٣ ،وتفسير أبي حيان ١٠٩/٦ ،وتفسير ابن كثير ١٤٠/٥ ،وتفسير أبي السعود ٣٧٠/٣ .

[٢٤] انظر تفسير الطبري ٢٢٥/٩ ،وتفسير البغوي ١٥٥/٣ ،وتفسير البيضاوي ٧/٢ ، وتفسير ابن كثير ١٤١/٥ ،وأضواء البيان للشنقيطي ٢٤/٤

[٢٥] انظر تفسير الطبري ٢٢٥/٩ ،وتفسير البغوي ١٥٥/٣ ،وتفسير البيضاوي ٧/٢ ، وتفسير ابن كثير ١٤١/٥ ،وأضواء البيان للشنقيطي ٢٤/٤

لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) ([٢٦])

وقد ورد في سبب مصاحبة موسى للخضر –عليهما السلام– قال رسول الله ρ :"بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل جاءه رجل فقال :هل تعلم أحداً أعلم منك ؟ قال : لا ،فأوحى الله إلى موسى : بلى ،عبدنا خضر ،فسأل موسى السبيل إليه ،فجعل له الحوت آية ،وقيل له : إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه ،فكان يتبع أثر الحوت في البحر ،فقال لموسى فتاه :أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ،فقال موسى :ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً فوجدا خضراً "([٢٧])

يخبر الله في هذه الآيات حين قال موسى لفتاه يوشع بن نون :لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين بين فارس والروم ،أو أمضي زماناً طويلاً يقارب الثمانين سنة أي حقباً ([٢٨]) .

فوجدا الخضر عند الصخرة ،فسلم عليه موسى وأخبره بسبب مجيئه ليعلمه من علمه قال ρ :"فسلم موسى فرد عليه فقال : وأنى بأرضك السلام ؟قال :أنا موسى ،قال : موسى بني إسرائيل ؟ قال : نعم ،أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً ، قال : يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه ،وأنت على علم من علم الله

علمكه الله لا أعلمه ،فلما ركبا في السفينة جاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين ،قال له الخضر : يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر "([٢٩])

---

[٢٦] سورة الكهف ،الآيات(٦٠-٨٢)

[٢٧] رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ،باب حديث الخضر مع موسى –عليهما السلام- ١٠٥٣/٢ (٣٤٠١) ،ومسلم في كتاب الفضائل ،باب من فضائل الخضر ٥٢٩/٤ (٢٣٨٠) .

[٢٨] انظر زاد المسير لابن الجوزي ١٧٠/٥ ،وتفسير البيضاوي ١٨/٢ ،وتفسير أبي حيان ١٤٣/٦ ،وتفسير ابن كثير ١٧٣/٥ ،والدر المنثور للسيوطي ٤٢٠/٤

وقد وصفه الله أنه عبد من عبادنا ،وإضافته إليه إضافة تشريف واختصاص ،وأخبر الخضر موسى بأنه لا يطيق الصبر في مصاحبته ،لعلم الخضر بما لا يعلمه موسى υ فعلق موسى الصبر على مشيئة الله لعلمه بشدة الأمر وصعوبته ،ووعده بالصبر وعدم عصيانه ،وشرط الخضر على موسى ألا يسأله عن شيء ولا يراجعه فيه حتى يتبين له أمره ([٣٠]).

فانطلقا على ساحل البحر فرأوا سفينة فركبا فيها من غير أجرة ،فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فقلعه فخرقها ،فجعل موسى يسد الخرق وينكر عليه هذا الأمر ،وكيف أراد إغراق السفينة ،وقد ركبا فيها من غير أجرة ،فذكره الخضر بأنه لم يصبر ،فاعتذر موسى إليه وأخبره بنسيانه فقبل عذره ([٣١]).

فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً يلعب مع الصبيان فقتله الخضر ،فأنكر عليه موسى υ قتل نفس بريئة ،فذكره الخضر بأنه لم يصبر عن السؤال ،فقال موسى : إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني ،فانطلقا حتى وصلا إلى قرية فلم يضيفوهما ،فوجد حائطاً قد قرب على السقوط فسواه الخضر حتى استقام ،فاعترض موسى إصلاحه للجدار ولم يطلب أجرة عليه مع أن أهل القرية لم يضيفوهما فكان إنكاره سبب فراقهما([٣٢]) .

ثم أخبره بتفسير ما فعله ،فالسفينة كانت لمساكين يعملون بالبحر ،وإذا مرت أي سفينة صالحة أخذها الملك الظالم ،فخرقها ليكون فيها عيب ،وأما الغلام فكان كافراً وأبواه مؤمنين صالحين ،فإذا بلغ حملهما على الكفر ،فقتله الخضر لسلامة دين الأبوين ،وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فحفظهما الله بصلاح والدهما فبنى الجدار وأقامه حتى يستخرجا الكنز الذي تحت الجدار لهما إذا كبرا .([٣٣])

آداب الصحبة :

١-الحرص على طلب العلم والسفر سعياً لذلك ،من خلال رحلة موسى وفتاه للقاء الخضر عليهما السلام .

٢-إفشاء السلام ،ودعاؤه بأحب الأسماء إليه ،فقد قال الخضر : موسى بني إسرائيل .

٣-التزام الأدب في الحديث والتلطف في الكلام مع التواضع ،وذلك لما أخبر الخضر موسى بعدم استطاعته الصبر في مصاحبته .

٤-النصيحة والتعليم مع اللطف وعدم التوبيخ في الإنكار ،عندما أنكر موسى على الخضر قتله للغلام .

---

[٢٩] انظر تفسير الطبري ٢٨٠/٩ ،وتفسير الواحدي ٦٦٨/٢ ،وتفسير القرطبي ١٤/١١ ،وتفسير النسفي ٣٦/٣ ،وتفسير ابن كثير ١٧٤/٥ ،وتفسير السعدي ص ٤٣٢ .

[٣٠] انظر تفسير الطبري ٢٨٠/٩ ،وتفسير الواحدي ٦٦٨/٢ ،وتفسير القرطبي ١٤/١١ ،وتفسير النسفي ٣٦/٣ ،وتفسير ابن كثير ١٧٤/٥ ،وتفسير السعدي ص ٤٣٢ .

[٣١] انظر تفسير البغوي ١٧٧/٣ ،وتفسير ابن كثير ١٨٠/٥ ،وفتح القدير للشوكاني ٣٠٤/٣ ،وتفسير السعدي ص ٣٣٣ .

[٣٢] انظر تفسير الطبري ٢٨٣/٩ ،وزاد المسير لابن الجوزي ١٧٣/٥ ،وتفسير القرطبي ٢٦/١١ ،وتفسير أبي السعود ٣٩٥/٣

[٣٣]

.

٥-الإنصاف وقبول الاعتذار ،لما اعتذر موسى للخضر على سؤاله .

٦-الصبر وحسن الخلق والعفو عن الزلات في عفو الخضر عن موسى والصبر عليه .

فعلى كل صاحب أن يتخلق بهذه الآداب لتستمر صحبته ولتنفعه هذه الصحبة في الدنيا والآخرة .

المطلب الثاني : الصحبة السيئة .

أولاً :صحبة صاحب الجنتين .

إن لصاحب السوء تأثير كبير على صاحبه ،لأنه يقوده إلى الضلال ،ويزين له الباطل ،ويضله عن طريق الهداية ،بل ويحضه على ارتكاب المحرمات ،ويعينه على الشر والفساد .

وعند تدبر آيات القرآن يذكر الله نموذجاً من الصحبة السيئة لنحذر منها حتى لا تؤثر في صناعة الشخصية المسلمة .

فكم من إنسان أراد طريق الهداية فأضله أصحابه ،وسخروا من أفكاره ،وحاولوا صده عن طريق الهدى والرشاد .

فلا بد عند صناعة الشخصية المسلمة أن تجتنب هذه النماذج السيئة التي توقع صاحبها في الفساد .

قال تعالى : (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا) ([٣٤])

ضرب الله مثلاً رجلين أحدهما مؤمن ،والآخر كافر ،قد جعل الله للكافر بساتين من أعناب محفوفين بالنخل ،وفي خلالهما الزروع المثمرة الصالحة للأكل ،وفي وسط الجنتين نهراً ليدوم شربهما ويسقيهما من غير انقطاع فقال الكافر لصاحبه المؤمن :أنا أكثر منك مالاً وخدماً ،وأخذ يطوف بصاحبه في جنته ويفاخره بها ،وهو ظالم لنفسه لكفره بالبعث وتكبره وإنكاره للمعاد ،فأجابه صاحبه المؤمن واعظاً له وزاجراً عما هو فيه من الكفر بالله والجحود لنعمه ،فهلا حين دخلت جنتك حمدت الله على نعمه وقلت : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ،لأن النعم والمال كله من الله بقدرته وقوته ،لا بقوتك وقدرتك فلعل ربي أن يرزقني خيراً من بستانك وإن كنت أقل منك مالاً ،ويرسل على جنتك عذاباً من السماء

[٣٤] سورة الكهف ، الآيات (٣٢-٤٣) .

فتصبح أرضاً ملساء لا زرع فيها أو يصبح ماؤها ذاهباً في الأرض لا تستطيع طلبه ،وأحاط الهلاك بثمره وأمواله حسبما توقعه صاحبه ،فأصبح الكافر يضرب يديه على الأخرى ندماً وحسرة على ما أنفق فيها([٣٥]) .

فكان هذا مآل كل من جحد نعمة ربه ،ونسب الفضل لنفسه ،وأنكر البعث والجزاء ،ولم يصغ لتذكير المؤمنين .

ومن خلال هذه الصحبة يتبين أن الصاحب المؤمن يصنع الشخصية المسلمة ويؤثر فيها ،ويوجهها إذا زلت ويذكرها إذا نسيت ،أما الصاحب السيء فإنه لا يصغ لتذكير الناصحين ،وإنما اغتر بما لديه من المال والنعم وجحد نعم ربه ،وأنكر البعث والجزاء فحلت به العقوبة وأهلك الله ماله .

ثانياً : التحذير من طاعة الكفار والمشركين .

قال تعالى : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَاتَّبَعَ هَواهُ وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً) ([٣٦])

جاء الأقرع بن حابس التميمي([٣٧]) وعيينة بن حصن الفزاري([٣٨]) فوجدوا رسول اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مع صهيب وبلال وعمار وخباب. قاعدًا في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حقروهم فأتوه فخلوا به وقالوا: إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العربُ فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء. فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك. فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت قال: (نعم) قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً. قال: فدعا بصحيفة. ودعا عليًا ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبرائيل – عليه السلام – فقال: (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ)([٣٩]). ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال: (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ([٤٠]). ثم قال: (وَإِذَا

---

[٣٥] انظر تفسير الطبري ٢٤٦/٩ ،وتفسير الماوردي ٣٠٥/٣ ،والوجيز للواحدي ٦٦١/٢ ،وتفسير ابن عطية ٤٠٣/١٠ ،وتفسير ابن الجوزي ١٣٩/٥ ،وتفسير القرطبي ٢٢٦/١٠ ،وتفسير البيضاوي ١١/٢ ،والدر المنثور للسيوطي ٤٠٣/٤ ،وفتح القدير للشوكاني ٢٨٦/٣ .

[٣٦] سورة الكهف ، الآية (٢٨) .

[٣٧] الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد التميمي ،من أشراف تميم ،وهو من المؤلفة قلوبهم ،شهد حنيناً وفتح مكة والطائف . انظر أسد الغابة لابن الأثير ١٢٨/١ ،والإصابة لابن حجر ٢٥٣/١ .

[٣٨] عيينة بن حصن بن حذيفة الفزاري ،أسلم بعد الفتح ،وهو من المؤلفة قلوبهم ،يكنى أبا مالك ،من الأعراب الجفاة .انظر الاستيعاب لابن عبد البر ١٢٤٩/٣ ،وأسد الغابة لابن الأثير ٣١٨/٤ ،والإصابة لابن حجر ٦٣٨/٤ .

[٣٩] سورة الأنعام ،الآية (٥٢)

[٤٠] سورة الأنعام ، الآية (٥٣) .

جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ)([41]). قال: فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته، وكان رسول اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام "([42])

يقول تعالى لنبيه محمد ρ واصبر مع أصحابك الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ويذكرونه بالتسبيح والتحميد والأعمال الصالحة لا يريدون عرضاً من الدنيا ،إنما لابتغاء وجه الله ،ولا تصرف عيناك عنهم وتجاوزهم إلى مجالس

المشركين ،ولا تطع من شغلنا قلبه من الكفار الذين سألوك طرد الرهط الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي عن ذكرنا بالكفر وغلبة الشقاء عليه ،واتبع هواه ،وترك اتباع أوامر ربه ونواهيه فكان أمره ضياعاً وندماً .

في الآية نهي عن ترك مجالس الصالحين الذين يذكرون الله ،والإقبال على مجالس الأشراف المشركين الذين أعرضوا عن ربهم واتبعوا أهواءهم ،وتكبروا على الضعفاء والفقراء المؤمنين ([43]).

انظر تفسير الطبري ٥/١٨ ،والوسيط للواحدي ١٤٥/٣ ،وزاد المسير لابن الجوزي ٧٩/٣ ،وتفسير النسفي ٢٩٨/٢ ،وتفسير ابن كثير ١٥٢/٥ ،وتفسير السعدي ص ٤٧٥ .

المبحث الثالث :أثر الصحبة الصالحة في الدنيا والآخرة .

إن للصحبة الحسنة تأثير في صناعة الشخصية المسلمة ،لأن المرء مماثل لقرينه ،يتأثر بأفكاره ،ويؤمن بمعتقده ،قال ρ :"الرجل على دين خليله ،فلينظر أحدكم من يخالل "([44]) .

ومن الآثار للصحبة الصالحة :

١–استشعار حلاوة الإيمان ،فإذا صاحب إنساناً لا يحبه لذاته ،ولا لمصلحة ،وإنما للوصول إلى رضا الله ومحبته فإنه سيشعر بحلاوة الإيمان في المحبة في الله ،وهي من أوثق عرى الإيمان ،قال ρ :"ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان –وذكر منها– وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله " ([45]) .

٢–حصول محبة الله له كما قال ρ :"وجبت محبتي للمتحابين في ،والمتجالسين في ،والمتزاورين في " ([46]).

---

[41] سورة الأنعام ، الآية (54) .

[42] أسباب النزول للواحدي ص ٢٩٧

[43] رواه الترمذي في كتاب الزهد ،باب (٤٥) ٥٠٩/٤ (٢٣٧٨) ،وقال : حديث حسن غريب ،وأبو داود في كتاب الأدب ،باب من يؤمر أن يجالس ١٦٨/٥ (٤٨٣٣) ،وصححه الحاكم في المستدرك ١٧١/٤ ،ووافقه الذهبي ،وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٦٣٣/٢ .

[44] رواه البخاري في كتاب الإيمان ،باب من كره أن يعود في الكفر ٣١/١ (٢١) ،ومسلم في كتاب الإيمان ،باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ٩٦/١ (٦٧)

[45] رواه أحمد في مسنده ٢٤٧/٥ ،وقال الهيثمي في مجمع الزوائد :رجاله رجال الصحيح ٢٨١/١٠ ،وقال الحاكم في المستدرك :إسناده صحيح على شرط الشيخين ،ووافقه الذهبي ١٨٧/٤ .

[46]

قال علي τ :"عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ،ألا تسمع إلى قول أهل النار (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) ([٤٧]).

٣-المتحابون في الله من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ،قال الرسول ρ :" سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله –وذكر منهم –ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه "([٤٨])([٤٩]).

٤-المتحابون في الله على منابر من نور ،يغبطهم النبيون والشهداء ،قال ρ :"المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء "([٥٠])

يرفع الله منزلتهم فيغبطهم النبيون والشهداء استحساناً لحالهم ،وبيان فضلهم ([٥١]).

٥-يقال للمتحابين في الله عندما يتزاورون ،ويجتمعون على طاعة الله :طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا كما قال ρ :"من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك ،وتبوأت من الجنة منزلاً "([٥٢])

٦-يحشر المتحابون في الله مع من أحبوهم في الدنيا كما قال ρ :"المرء مع من أحب "(١)

وفي الحديث حث على محبة الأخيار والصالحين حتى يكون العبد من زمرتهم حتى وإن لم يعمل بعملهم (٢).

المبحث الرابع : أثر الصحبة السيئة في الدنيا والآخرة .

إن صاحب السوء يدفع صاحبه إلى الانحراف والضياع ،ويزين له المعاصي والشهوات ،ويحثه على طرق أبواب الشر والشبهات ،وفي قصة أبي طالب ([٥٣])عم الرسول ρ دليل قوي على تأثير صاحب السوء ،لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه الرسول ρ فوجد عنده أبا جهل بن هشام ([٥٤])،وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة([٥٥]) ،فقال : يا عم قل : لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله ،فقال أبو جهل : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله

---

[٤٧] سورة الشعراء ،الآيتان(١٠٠-١٠١)

[٤٨] رواه البخاري في كتاب الأذان ،باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ٢٠٩/١ (٦٦٠) ،ومسلم في كتاب الزكاة ،باب فضل إخفاء الصدقة ٤١٠/٢ (١٠٣١)

[٤٩] انظر أدب الدنيا والدين للماوردي ص ١٦٣ ،والأخلاق الإسلامية لعبد الرحمن الميداني ١٨٨/٢

[٥٠] رواه الترمذي في كتاب الزهد ،باب ما جاء في الحب في الله ٥١٦/٤ (٢٣٩٠) ،وقال : حديث حسن صحيح ،وأحمد في مسنده ٢٣٦/٥ ،وصححه الحاكم في المستدرك ،ووافقه الذهبي ١٨٨/٤ ،وقال الهيثمي في مجمع الزوائد :رجاله رجال الصحيح .مجمع الزوائد ٢٧٩/١

[٥١] انظر شرح السنة للبغوي ٤٥٤/٦ ،وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٥٦/٧

[٥٢] انظر شرح السنة للبغوي ٤٥٤/٦ ،وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٥٦/٧

[٥٣] رواه الترمذي في كتاب البر والصلة ،باب ما جاء في زيارة الإخوان ٣٢٠/٤ (٢٠٠٨) ،وقال :حديث حسن غريب ،وحسنه المنذري الترغيب ٣١٩/٤

[٥٤] رواه مسلم في كتاب البر والصلة ،باب المرء مع من أحب ١٩٧/٥ (٢٦٤٠)

[٥٥] انظر شرح النووي لصحيح مسلم ١٥٤/١٦ ،وفتح الباري لابن حجر ٥٧١/١٠ ،وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٥٢/٧

ρ يعرضها عليه ،ويعودان بتلك المقالة ،حتى قال أبو طالب : هو على ملة عبد المطلب ،وأبى أن يقول : لا إله إلا الله " ([٥٦])

ومن آثار الصحبة السيئة :

١-الحسرة والندامة على الصحبة السيئة ،قال تعالى :(وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا)([٥٧])

وقال :(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ) ([٥٨])

٢-المحبة تنقلب في الآخرة إلى العداوة والبغضاء والتبرؤ من بعضهم بعضاً ،قال تعالى : (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) ([٥٩]) وقال : (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ) ([٦٠])

٣-يحشر الأصحاب المسيئون مع بعضهم في النار ،قال تعالى : (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ)([٦١])

وقال : (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا) ([٦٢])

---

[٥٦] انظر شرح النووي لصحيح مسلم ١٥٤/١٦ ،وفتح الباري لابن حجر ٥٧١/١٠ ،وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٥٢/٧

[٥٧] أبو طالب :عم الرسول ρ وناصره ،دافع عنه ،وكان في كفالته بعد موت جده عبد المطلب ،توفي قبل الهجرة بثلاث سنين .انظر السيرة لابن هشام ٢١٦/١ ،والكامل في التاريخ لابن الأثير ٩٠/٢ ،والرحيق المختوم للمباركفوري ص ١٠٣

[٥٨] أبو جهل بن هشام ،قتله معاذ بن عمرو بن الجموح ،ومعوذ بن عفراء في غزوة بدر ،في السنة الثانية للهجرة ،يكنى أبا الحكم ،عادى الرسول وأصحابه .انظر تاريخ الطبري ٤٥٤/٢ ،والكامل لابن الأثير ١٢٦/٢ ،والبداية والنهاية لابن كثير ٣٢٢/٤

[٥٩] عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي ،دعاه النبي في قوم من المشركين ،فكان خطيبهم وقال : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ،أسلم قبل وفاته ،وقتل يوم الطائف . انظر أنساب الأشراف للبلاذري ١٤٥/١ ،والبداية والنهاية لابن كثير ٢٨٠/٤

[٦١] سورة الصافات ،الآيتان (٢٢-٢٣)

[٦٢] سورة الأحزاب ، الآيات (٦٦-٦٨)

الخاتمة

الحمد لله ذي الفضل والإحسان ،الكريم المنان ،أحمده حمداً كثيراً كما ينبغي لجلال وجهه ،والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد ρ ،وبعد :

فإنه بعد أن من الله علي بإنهاء البحث أود أن أختمه برسم خلاصة لما ورد في مباحثه بذكر أهم النتائج التي توصلت إليها وهي :

١-لابد من اختيار الصاحب الصالح الذي يمثل الشخصية المسلمة على أساس الدين وحسن الخلق والعقل ،وألا يكون فاسقاً أو مبتدعاً أو حريصاً على الدنيا .

٢-إن للصحبة آداباً كثيرة منها : التعاون على البر والتقوى ،والتناصح ،وحسن الخلق ،والعفو عن الزلات ،والإنصاف وقبول الاعتذار،وهذه الآداب مستنبطة من سورة الكهف في صحبة أصحاب الكهف ،وصحبة موسى للخضر .

٣-إن القرآن عرض لنا نماذج حسنة في الصحبة الصالحة كالفتية أصحاب الكهف ،وصحبة موسى مع الخضر وغيرهما للاقتداء بهم ،والسير على نهجهم في صناعة الشخصية المسلمة .

٤-عند تدبر القرآن نجد أن القرآن عرض لنا نماذج سيئة تصور الصحبة السيئة التي تقود صاحبها إلى الضلال ،وتزين له الباطل ،للحذر منها ،والبعد عنها لسلامة الدين .

أسأل الله أن يلهمني الرشد والسداد ،وأن ينفع به ،إنه ولي ذلك والقادر عليه .

فهرس المصادر والمراجع

١-أدب الدنيا والدين ،أبو الحسن علي بن محمد الماوردي ،تحقيق : مصفى السقا ،الطبعة الثالثة ،بيروت : دار الفكر .

٢-الأخلاق الإسلامية وأسسها ،عبد الرحمن حسن الميداني ،الطبعة الأولى ،١٣٩٩هـ ،بيروت:دار القلم .

٣-أسباب النزول ،أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ،تحقيق :د .السيد الجميلي ،الطبعة السادسة ،١٤١٤هـ ،بيروت :دار الكتاب العربي .

٤-الاستيعاب في معرفة الأصحاب ،ابن عبد البر ،تحقيق :علي البجاوي ،مصر :مكتبة نهضة مصر.

٥-أسد الغابة في معرفة الصحابة ،ابن الأثير ، بيروت :دار إحياء التراث العربي .

٦-الإصابة في معرفة الأصحاب ،ابن حجر العسقلاني ،بيروت :دار الكتاب العربي ،القاهرة :دار نهضة مصر .

٧-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ،محمد الأمين الشنقيطي ،١٤١٥هـ ،القاهرة : مكتبة ابن تيمية .

٨-أنساب الأشراف ،أحمد بن يحي البلاذري ،تحقيق : د. محمد حميد الله ،مصر : دار المعارف .

٩-أنوار التنزيل وحقائق التأويل ،ناصر الدين أبو سعيد عبد الله البيضاوي ،الطبعة الأولى ،١٤٠٨هـ ،بيروت : دار الكتب العلمية .

١٠-البحر المحيط ،محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي ،الطبعة الثانية ،١٤١٣هـ ،القاهرة :دار الكتاب الإسلامي .

١١-بداية الهداية ،أبو حامد الغزالي ،تحقيق :محمد الحجار ،الطبعة السابعة ١٤١٤هـ ،بيروت :دار البشائر الإسلامية .

١٢-البداية والنهاية ،ابن كثير الدمشقي ،الطبعة السادسة ،١٤٠٩هـ ،بيروت : مكتبة المعارف .

١٣-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ،مجد الدين الفيروز آبادي ،بيروت : المكتبة العلمية .

١٤-تاريخ الطبري ،تاريخ الأمم والملوك ،محمد بن جرير الطبري ،تحقيق : أبو الفضل إبراهيم ،بيروت : دار التراث .

١٥-تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي ،محمد المباركفوري ،الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ،بيروت : دار الكتب العلمية .

١٦-الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ،زكي الدين عبد العظيم المنذري ،١٤٠١هـ ،بيروت : دار الفكر .

١٧-تفسير القرآن العظيم ،للحافظ ابن كثير الدمشقي ،تحقيق : د .محمد إبراهيم البنا ومحمد عاشور ،وعبد العزيز غنيم ،القاهرة : الشعب .

١٨-تلبيس إبليس ،أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ،تحقيق : د. السيد الجميلي ،الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ،الرياض : دار الهدى .

١٩-تهذيب إحياء علوم الدين ،عبد السلام هارون ،الطبعة الأولى ،١٤٠٩هـ ،بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية .

٢٠-تهذيب اللغة ،أبو منصور محمد الأزهري ،تحقيق :د. عبد السلام سرحان ،القاهرة :مطابع سجل العرب .

٢١-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،عبد الرحمن السعدي ،الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ،بيروت : مؤسسة الرسالة.

٢٢-تيسير مصطلح الحديث ،د.محمد الطحان ،الطبعة الثامنة ١٤٠٧هـ ،الرياض : مكتبة المعارف .

٢٣-الجامع لأحكام القرآن ،أبو عبد الله محمد القرطبي ،١٤١٣هـ ،بيروت :دار الكتب العلمية .

٢٤-جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،أبو جعفر محمد الطبري ،١٤٠٨هـ ،دار الفكر للطباعة .

٢٥-جمهرة اللغة ،أبو بكر محمد بن دريد الأزدي ،بيروت : دار صادر .

٢٦-الدر المنثور في التفسير بالمأثور ،جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ،الطبعة الأولى ،١٤١١هـ ،بيروت : دار الكتب العلمية .

٢٧-ديوان لبيد بن ربيعة ،بيروت : دار صادر .

٢٨-الرحيق المختوم ،صفي الرحمن المباركفوري ،الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ،الرياض : مكتبة العبيكان .

٢٩-روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ،أبو حاتم محمد حبان البستي ،الطبعة الأولى ،١٤١٧هـ ،الرياض : مكتبة نزار الباز .

٣٠-زاد المسير ،أبو الفرج بن الجوزي ،المكتب الإسلامي للطباعة .
٣١-سنن أبي داود ،سليمان بن الأشعث السجستاني ،الطبعة الأولى ،١٣٩١هـ ،بيروت : دار الحديث .
٣٢-السلسلة الصحيحة ،محمد الألباني .
٣٣-سنن الترمذي ،أبو عيسى محمد بن سؤرة ،١٤١٥هـ ،دار إحياء التراث العربي .
٣٤-السيرة النبوية ،لابن هشام ،تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري ،وعبد الحفيظ شلبي ،الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ،بيروت : دار إحياء التراث العربي .
٣٥-شرح السنة ،أبو محمد البغوي ،تحقيق : علي معوض وعادل عبد الموجود ،الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ،دار الكتب العلمية .
٣٦-الشعر والشعراء ،ابن قتيبة ،تحقيق : أحمد شاكر .
٣٧-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،إسماعيل الجوهري ،تحقيق : أحمد عطار ،الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ،بيروت : دار العلم للملايين .
٣٨-صحيح البخاري ،أبو عبد الله محمد البخاري ،مراجعة :محمد القطب وهشام البخاري ،الطبعة الثانية ١٤١٦هـ ،بيروت : المكتبة العصرية .
٣٩-صحيح سنن الترمذي ،محمد الألباني ،الطبعة الأولى ،١٤٠٨هـ ،بيروت : المكتب الإسلامي .
٤٠-صحيح مسلم ،أبو الحسين مسلم بن الحجاج ،تحقيق : د.موسى لاشين ود.أحمد هاشم ،الطبعة الأولى ،١٤٠٧هـ ،بيروت : مؤسسة عز الدين .
٤١-صحيح مسلم بشرح النووي ،تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ،الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ،بيروت : دار الكتب العلمية.
٤٢-عيون الأخبار ،ابن قتيبة الباهلي .
٤٣-فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،أحمد بن حجر العسقلاني ،تحقيق : محب الدين الخطيب ،الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ،القاهرة : دار الريان للتراث .
٤٤-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ،محمد الشوكاني .
٤٥-القاموس المحيط ،مجد الدين الفيروز آبادي ، تحقيق : مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ ،بيروت : مؤسسة الرسالة .
٤٦-الكامل في التاريخ ،عز الدين بن الأثير الجزري ١٣٨٥هـ ،بيروت : دار صادر .
٤٧-لسان العرب ،ابن منظور ،الطبعة الثانية ١٤١٢هـ ،بيروت : دار إحياء التراث العربي .
٤٨-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ،علي الهيثمي ،تحقيق : عبد الله الدرويش ١٤١٢هـ ،بيروت : دار الفكر .
٤٩-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ،تحقيق : المجلس العلمي بفاس ١٣٩٥هـ ،القاهرة : دار الكتاب الإسلامي .

٥٠-مختصر منهاج القاصدين ،أحمد المقدسي ،تحقيق : زهير الشاويش ،الطبعة الثامنة ١٤٠٩هـ ،بيروت : المكتب الإسلامي .

٥١-مدارك التنزيل وحقائق التأويل ،عبد الله النسفي ،تحقيق : مروان الشعار ،الطبعة الأولى ،١٤١٦هـ ،بيروت : دار النفائس .

٥٢-المستدرك على الصحيحين ،أبو عبد الله محمد الحاكم ،تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ،بيروت : دار الكتب العلمية .

٥٣-المسند ،الإمام أحمد بن حنبل ،المكتب الإسلامي .

٥٤-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ،أحمد المقري الفيومي ،بيروت :المكتبة العلمية .

٥٥-معالم التنزيل ،أبو محمد البغوي ،تحقيق : خالد العك ومروان سوار ،الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ ،بيروت : دار المعرفة .

٥٦-معاني القرآن أبو زكريا يحي الفراء ،تحقيق : محمد النجار ،الطبعة الثانية ،مصر :الدار المصرية .

٥٧-المعجم الوسيط ،الطبعة الثانية ،١٣٩٢هـ ،مصر : مجمع اللغة العربية .

٥٨-مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم والحكم ،أحمد بن مصطفى طاش كبري زاده ،مصر : دار الكتب الحديثة .

٥٩-المفردات في غريب القرآن ،الحسين الراغب الأصفهاني ،بيروت : دار المعرفة .

٦٠-النكت والعيون ،تفسير الماوردي ،أبو الحسن علي بن محمد ،بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية .

٦١-الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،أبو الحسن الواحدي ،الطبعة الأولى ،دمشق : دار القلم .